مقدمة مختصرة عن نشاة المصارف التجارية

ان الحديث عن نشأة المصارف التجارية ، و تحديد بدايتها لا يكون كاملا و يعطي صورة واضحة بدون التحدث عن نشأة الائتمان و الودائـــع ، أي ان المصارف التجارية و العمليات المصرفية هما لصيقان و تؤامان في البداية و النشأة ، اذ ان الادبيـــات و الدراسات تشير الى أن أول ظهور لأشكال التعامل المصرفي و المتمثل بالودائـــع و الائتمان ، كـان قبل ظهور المصارف بمدة طويلة وهو ما تـــدل عليه الوثائق التاريخية العديدة ، و بالخصوص تلك التي كانت موجودة في بلاد ما بين النهرين، و التي كانت بحدود ٣٥٠٠ قبل الميلاد.

كمـــا أن المبادئ التي وضعها الملك حمورابي والتي تعود إلى ١٦٧٥ قبل الميلاد و المعروفة بـــ(شريعة حمورابي)، و التي تعـد من اقدم النصوص المعـــروفة في التاريخ فيما يخص الايـداع والاقتراض والفائدة والضمانات(لايقـــة:١٤,٢٠٠٧)، اذ ان هنالك مواد خاصة في قانون حمورابـــي تتحدث عن الائتمان و الـــودائع و كيفية تنظيمها ، و هي المواد من (١٢٢-١٢٥).

ان هذا العـــرض المتقدم يشير الى وجود نشاط الصيرفة و حركة الائتمان منذ فترات مبكرة جدا في تاريخ العراق القديم ، اذ عثر على النشاط في عدد كبير من العراق القديمة ، ففي الجنوب مدينة (أور) ، و في الوسط مدينة (بابل) ، و في الشمال مدينة (آشور) ، و غيرها من المدن و المناطق فضلا عن أئتمان التجارة الخارجية بين العراق وبين دول عديدة كالهند و بلاد الاناضـــول و غيـــرها ، وقد توسطت الصيرفة في تسهيل عقود التجارة الخارجية مثل قروض التجارة الخارجية لتسهيل عمليات الاستيراد و التصدير ، كما برزت الصيرفة في تسهيل و ترويج معاملات البيع ، و معاملات الرهن المستغلة و المتعلقة بالتسليـــف على الحاصل ، و كذلك قامت بقبول الودائع و الكفالة والضمان ، اذ كثرت المصارف و بـــــرزت في الالف الثانية والأولى قبل الميلاد ، كمصرف (ايجيبي) في مدينة سبـار ، ومصـــرف (موارشو) في مدينة نفر ، و كذلك كان هناك مصـــــــرف (الانيازير) في مدينة اور.

ان من المسلم به تاريخيا ان العمل المصرفي من قبول الودائع و من ثم استثمار الجزء الفائض منها (الائتمان) ، انمـــا بـــرز و تطور تبعا لاستعمال للنقود كـــوسيط في المبادلات ، و قـــد عرفـــت المدنيات الاولى هذا النشاط مثل السومـريين و البابلـــيين و الصينـــين و الاغريق و الرومان و ان اختلفت الاشكال و المظاهر، كما عرفـــه العرب قبل الاســـلام ، و في مكة بالذات المشهورة بتجارتها مع الشام واليمن ، اذ كان الرسول –ص– قبل النبوة مشهورا بالامين ، اذ بقيـــت الودائع عنده حتى قبيل هجرته من مكـــة الى المـــــدينة ، اذ اوكل بها الامام علي _ع_ ليتولى ردها الى اصحابها.

وان ظهور العمليات المصرفية ارتبط بنشاط اخر مهم ، الا و هو نشاط الصاغة و الصيارفة ، اذ كانوا يقومون بحفظ اموال التجار و رجال الاعمال و الافراد ، مقابل اعطائهم ايصـــال بتلك الاموال المحفوظة ، و هذا الايصال فيما بعد اصبح اورق تجارية مقبولة عند الجمـــهور و يتم التداول بها ، وبعد أن اصبحت هذه الاموال مبالغ كبيرة بمرور الزمن قام الصاغة والصيارفة بإقراضها مقابل فائدة ، و بهذا نشأت وظيفة الاقراض أي تقديم القروض، و بعدها ظهرت العمليات الاخرى بالتوالي وبالتزامن مع تطور المصارف التجارية.

اما تاريـــخ ظهور المصارف حديثا فبدأ بالقرن الثاني عشر للميـــلاد ، اذ تأسس اول مصرف في مدينة (البندقية) (الايطالية) عام ١١٥٧ ، وتـــلاه أقامه مصرف (برشلونه) عام١٤٠١، ثم اعقبه أنشاء مصرف (ريالتو) عام ١٥٨٧ في البندقية ، ثم مصرف (امستردام) عـــام ١٦٠٩ ، وبعده تـــم تأسيس مصـــرف (هامبورغ) في المانيـــا ، و مصرف (انجلترا) ١٦٩٤ ، بعده مصـــرف (فرنسا) الذي اســـــه نابليون بونابرت عام١٨٠٠ ، وبعدها انتشرت المصارف في امريكا و وغيرها من بلدان و الـــذي نراه اليـــوم اصبـــح ركنا اساسيا في كـــل الانظمة الاقتصادية في العـــالم.